بعض المعارك لا تُربح بالمواجهة

بقلم: مجدي مكين
https://twitter.com/MagdiMakeen?s

حين يكون الهروب شجاعة في عالم يُمجد المواجهة ويعتبرها البطولة المطلقة، قد يبدو الهروب خيارًا جبانًا.
لكن الحقيقة التـــي يغفل عنها كثيرون: أن بعض المعارك لا تُربح بالمواجهة، بل بالانسحاب.
هناك مواقف لا تحتاج إلى شجاعة الوقوف، بل إلى حكمة الانسحاب.
لنا في ذلك عبرة في قصة سيدنا يوسف الذي هرب وترك ثوبه ولم يتردد، ولم يقل في نفسه: "علي أن أعظ هذه المرأة وأُصلحها."
وأيضًا سيدنا موسى هرب ولم يقاوم من وجه فرعون مصر،
بالرغم من أنهم أنبيـــاء، ويعرفون الحق تمام المعرفة، ولكنهم هربوا ولم يقاوموا.
وهنا، عن تلك اللحظات التي تتزيّن فيها الخطية بثوب العفة أو الخدمة، وتبدو كأنها متعة، أو قوة، أو انتصار...
وتكون الرغبة أقوى من الضمير.
في تلك اللحظة، لا تفكر كثيرًا.
لا تحاول أن تُثبت لنفسك أنك قوي أو قادر على السيطرة.
اهرب. ولا تقاوم.
ليس كل من قاوم انتصر، بل كثيرون ســـقطوا وهم يظنون أنهم قادرون على الثبات.
انظر إلى شمشون الجبار، لم يهرب من وجه دليلة، فأسقطته، ونزعت منه قوته، وأذلّته.
فالحقيقة: ليس الضعف هو الذي يقتل الإنسان...
بل الكبرياء، والغرور، أو محبة الضعـــف، أو ظنك أنك قادر على المقاومة متى شئت.
لكن الضعف الذي تحبه اليوم...
يمتلكك غدًا.
فاهرب ولا تقاوم.
التجربة أذكى منّا جميعًا، تعرف كيف تتسلّل...
تتسلل كالثعالب الصغيرة، وتأكل الكروم، ولا يكون لكرمك أي ثمار.
إنها تعرف كيف تبرر، وكيف تقنع...
والمشكلة ليست في أنك لا تعرف الصح من الخطأ،
بل في أن قلبك قد يُخدع تحت ضغط اللحظة.
الهروب في هذه الحالة ليس جبنًا، بل وعيًا.
هو قوة. هو اختيار الإنســـان العاقل، الذي يعرف حدود قوته، ويؤمن أن الحفاظ على النفس أثمن من أي إثبات للبطولة.
في بعض المواقف، أن تنجو بنفسك هو أعظم نصر.
كم من أشخاص كانوا يُحســـبون من الأقوياء، سقطوا لأنهم ظنوا أنهم أكبر من السقوط.
وكم من بشر عاديين، بسيطين، لكنهم عرفوا متى ينسحبون، فظلوا واقفين، أنقياء، وأقويّاء من الداخل.
لا تخجل أن تهرب من مشهد، أو نقاش، أو فرصة، أو علاقة، أو فكرة...
تشعر أنها قد تجرّك إلى منطقة رمادية، وغدًا سوداء، ثم إلى ظلمة لا تعرف كيف تخرج منها.
لا تنتظر أن "تجرب"، لا تقل "أنا سأتحكم".
اهرب. ولا تقاوم.
أن تهرب من الشر وأنت تراه يُزيّن لك نفسه، هو نوع من أنواع الحكمة.
لأنه قرار في لحظة ضعف.
الهروب هنا لا يعني أنك ضعيف.
بل يعني أنك قوي، لتختار الطريق الذي يحفظك.
أن تنجو، أفضل ألف مرة من أن تسقط وأنت تحاول المقاومة.
وإذا أراد الشر أن يأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضًا...
اهرب ولا تقاوم.

ما وراء العرض الأمريكي لشراء جزر روسية بالمحيط الهادي..

سيبيريا علي موائد اللئام

د. أحمد عبد العزيز بكير
أستاذ الكيمياء - جامعة الملك فيصل
بن عبد العزيز باحث في الشؤون العربية والشرق أوسطية
Dr.AhmedBekair@gmail.com

على غرار الهجوم الياباني المفاجئ في عام ١٩٤١ على «بيرل هاربر» في الولايات المتحدة الأمريكية، أثناء الحرب العالمية الثانية، وعلى غرار ضربة «البيجرز «الإسرائيلية القاتلة ضد حزب الله عام ٢٠٢٤، أيقظت الضربة الأوكرانية المدعومـــة أمريكياً، والممثلة بـ ماسُمِّي«بهجوم بيت العنكبوت» السيبراني في الأول مـــن يونيو الماضي الذي دمر البنية التحتية لأكثر من ٢٠ قاذفة عسكرية في أربعة مطارات روسية، في سيبيريا وشبه جزيرة كولا الروسيتين، على الحدود الفنلندية، والذي نفذته الاستخبارات الأوكرانية على طول حدودها مع روسيا باســـتخدام مسيرات من طراز «POV »، انطلقت كلها من شاحنات يملكها عميل أوكراني صاحب شركة وهمية، لتعود بالأذهان إلى حرب حصان طروادة، التي دارت بين الإغريق وأهل طروادة، على شرف هيلين ملكة إسبرطة.

ثمة إجماع على أن هذا الهجوم الذي تسبب بصدمة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين وتعجب العالم لقدرته الفائقة، يُعد نجاحاً أمنياً غير مسبوق لكييف، والذي من شأنه أن يترك أثراً يتجاوز الميدان الأوكراني- الروسي ويذهب بعيداً إلى الأطماع الخفية لقائد ميدان الحرب الحقيقي وهو اللاعب الأمريكي، الذي قام بدعم العملية لوجستياً وتقنياً منذ ما يقرب من عام ونصف العام، بحسب المخابرات الأوكرانية، والذي يأتي ضمن سياقات اعتمدتها القوات الأوكرانية للعمل خلف خطوط جبهة العدو الروسي، تلـــك التي أثمرت عن نجاح نوعي ملحوظ، بفضل التفوق الأوكراني بالحرب السيربانية والحروب الحديثة، والدعم الأمريكي اللامحدود، بغية وصول أمريكا لهدفها المنشود، والذي تسعى إليه منذ قرن وربع قرن من الزمان.

فمنذ أن اشترت أمريكا ولاية آلاسكا من الإمبراطورية الروسية عام ١٨٦٧ وحتى اليوم، تنظر أمريكا بعين لامعة لسيبيريا التي تمثل كنز روسيا الإستراتيجي، بل ربما كنز الأرض المتفرد. فسيبيريا تمثل ٧٠٪ من اقتصاد روسيا و٧٧٪ من مساحتها الكلية.

وترى أمريكا أنها تفوق حدود وإمكانات الإمبراطورية الروسية، فسيبيريا التي مازالت أكبر دولة في العالم بمساحة تبلغ ١٣.١ مليون كم٢، وتحتوي على أكبر احتياطات الغاز في الأرض في حقل يامال، وبها اثنان من أكبر حقول النفط العالمية وهما حقلا سخالين، وبخاروف، وبها خط أنبوب السيل الشمالي العملاق الذي يمد أوربـــا بالغاز الروسي، وحيث الثروات المعدنية، تُعد ياقوتيا وهي أحد جمهوريات سيبيريا أكبر منتج للياقوت والذهب والماس في العالـــم، كما أن مدينة نوريلسك الصناعية التي تقع في أقصى الشمال السيبيري والمعروفة بعاصمة التعدين الروسية، تشتهر بإنتاج ٤٠٪ من الإنتاج العالمي من البلاديوم والنحاس والنيكل والبلاتين. كما أن سيبيريا قلب تعدين وصناعة الألمونيوم عالمياً من خلال شركة Rusal التابعة لمجموعة Positive Energy Russia

ومع ضخامة الثروات الطبيعية والموقع الجغرافي الإستراتيجي لسيبيريا الروسية، فصانع السياسات الأمريكي يضعها محل اهتماماته على الدوام، ويري أنه يجب على الأمريكان أخذ أكبر قدر ممكن من جغرافيا تلك الأراضي التي لا تستحقها روسيا على حد قوله. لذا فسيبيريا ستبقى ساحة خفية للصراع بين الولايات المتحدة وروسيا، بسبب ثرواتها وموقعها الاستراتيجي.

وبينما تركز واشنطن على خنق الاقتصاد الروسي عبر العقوبات، فإنها تتابع عن كثب أي فرص لتعزيز نفوذها في المنطقة، سواء عبر الشركات أو الضغوط السياسية. ومع استمرار الأزمة الأوكرانية، قد تزداد أهمية ســـيبيريا في الإستراتيجية الأمريكية، التي بذلت وعلي مايقرب مـــن قرن من الزمان ما بوسعها للتوغل في سيبيريا بدءا من عام ١٩١٧ مع قيام الثورة البلشفية، وتدخلها إلي جوار بريطانيا، فرنسا، واليابان لدعم الجيش الأبيض الروسي ضد الثوار البلاشفة، لحماية مصالح الشركات والإستثمارات الأمريكية والغربية في سيبيريا خشية تأميمها من قبَل البلاشفة، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها بالأستيلاء علي ســـيبيريا أو إعادة روسيا لساحة الحرب ضد الألمان مرة أخرى، بعد توقيع البلاشفة لمعاهدة بريست-لوتوفسك في مارس ١٩١٨ مع ألمانيا، وانسحابها من الحرب، مما زاد الضغط يومها على الحلفاء وعلى رأسهم أمريكا التي انسحبت وقتها وهي تجر أذيال الخيبة من شبه جزيرة كولا أقصي شمال روسيا عام ١٩٢٠.

اليوم وبعد مـــرور ١٠٧ أعوام علي الثورة البلشفية، مازال الصقر الأمريكي متأهباً ينتظر لحظة الانقضاض على ســـيبيريا، ولربما وجد ضالته حين قام بتمويل ودعم الهجوم السيبراني علي القواعد الإستراتيجية الروسية وأهمها علي الإطلاق بشبه جزيرة كولا المتاخمة للحدود الفنلندية، والتي تُصر أمريكا، بل ويزداد إصرارها يوماً بعد يوم للإستيلاء عليها لوجود أكبر حقل غاز روسي جنوب كولا، وهو الذي يُضخ منه الغاز عبر أنبوب «قوة سيبيريا» إلي الصين، مروراً بمنغوليا. يذكر أن روســـيا والصين مؤخراً قد حرضا علي الثورة ضد الحكومة المنغولية المدعومة أمريكياً، ونجحا بالفعل في إسقاطها، وتعيين حكومة أخرى موالية لروسيا والصين، وذلك لتجنب الإبتزاز المنغولي في توصيل الغاز الروسي للصين، بأوامر أمريكية.

واليوم تقدم الضابـــط جيفري فريتس باقتراح لترامب يعـــرض عليه شراء جزر كوماندور في شمال المحيط الهادئ، قبالة الطرف الغربي لسلسة جزر آلوشيان الواقعة في آلاسكا الأمريكية بقيمة ١٥ مليار دولار، فيما قيل إنه لتعزيز الأمن الامريكي، لكن الشيطان يكمن في تفاصيل أهمية تلك الصفقة في تطويق كل من:

أولاً روسيا؛ حيث بداية استنزافها جغرافياً باستلاب قطعة تلو الأخرى من أرضها تمهيداً لإقتناص ســـيبيريا التي تراها أمريكا أنها الجائزة الكبري.

وثانيا: وهو الأهم أن جزر كوماندور حيوية جداً لمراقبة نشاط الغواصات الصينية وعرقلة وصولها إلي المحيط المتجمد الشمالي عبر المحيط الهادي، حيث يمكن لهذه هذه الغواصات أن تهدد المدن الأمريكية بصواريخ باليستية بعيدة المدى، وهذا ما لن تسمح به أمريكا، التي لا تكل ولا تكل من محاولات خنق الروس والصينيين عبر ما تراه ميسراً من أدوات.

في النهاية تبقي سيبيريا في دائرة الإهتمام الأمريكية، لأسباب استراتيجية واقتصادية، وترى أن تلك الجغرافيا كبيرة من الصعب أن تستوعبها روسيا وحدها، وعلى نهج ترامب الأنتهازي الذي يريد الاستحواذ علي قناة بنما وجزر جرين لاند وقطاع غزة وتحويله إلي «ريفييرا الشرق» علي حد قوله، يرى صانع القرار الأمريكي أنه يجب علي أمريكا في أسرع وقت الإستيلاء على سيبيريا والظفر بثرواتها الهائلة.

عن «مركز العرب للأبحاث والدراسات»

علم بإبداع .. أثر بمهارة

صابر جبارة
كاتب وإعلامي مصري

في قاعة ضجت حماساً بالحضور
نادى النداء: «العلم مفتاح النور»
جئنا نعلم لا نلقن كالحجر
بل نزرع الفكر، ونحيي من عثر
جئنا نضيء العقل في قلب الصغار
نوقد شعل الإبداع بين الكبار
نعرف بأن المعلم فن وحياة
مشواره نور، وإن ضاقت خطاه
في دورتنا، «علم بإبداع» ننادي
إياك أن تصبح مجرد من ينادي
اصنع من الفكرة ضوءاً في العيون
واسق الحروف لتثمر في الجنون
«أثر بَمهارة»، فكل موقف درس
وكل صمت فيه معنى لا يحبس
الكاريزما، الذكاء، واللغة في الجسد
كلها أدوات من للتميز قد جهد
نخطط التدريب بخط من ذهب
نقيم، نطور، لا نقف عند سبب
نتواصل فنسمو فوق العاديين
نجعل من كل لقاء معين
نبدع، نلعب، نلهم بالفكر
نحمل رسالة كأنها عطر وفكر
فامض على نهج من الفخر وهدى
وكن فِي درب «العلم» نجما لا يردى .

المجاعة أكبر من غزة

سوسن الأبطح

«لقد فاز هتلر، عندمـــا حوّلنا نحن اليهود إلى أمة شريرة تلاحق وتقتل الأطفال والنساء»، قالت غاضبة الممثلة ميريام مارغوليس، التي بلغت الثالثة والثمانين وتشعر بالخزي والحرج؛ لأن غالبية بني جلدتها لا يرون خطورة فيما ترتكبه إسرائيل بحق شعب، لا هو من قتلهم، ولا حاول إفناءهم، ولا صلة له بكل الجرائم النازية، ومع ذلك يتم تدفيعه الثمن.

مارغوليس محقة؛ لأن الإبادة في غزة وصلت صرخات ضحاياها إلى كل بقعة، ومع ذلك، نصف الإسرائيليين لا يزالون يرون أن ما ينشر هو مجرد دعاية لـ«حماس». وبحسب استطلاع جديد نشرته «وول ستريت جورنال»، فإن 79 في المائة من الإسرائيليين لا يشـــعرون بأي تأنيب ضمير تجاه المدنيين الفلسطينيين، ويسمون الكارثة التي فاضت فأغرقت الضمائر وجعاً: «أزمة إنسانية». وفي استطلاع آخر 70 في المائة يعارضون إرسال مساعدات حتى عبر هيئات دولية. هؤلاء رأينا بعضهم يمنعون شاحنات المساعدات من الوصول إلى المجوعين. 64 في المائة يتبنون مقولة «لا يوجد أبرياء في غزة»، وأقل من ربع الإسرائيليين فقط، في دراسة صدرت قبل أيام، أيدوا أن تأخذ العمليات العسكرية في الاعتبار معاناة المدنيين.

إجابات مروعة، أرقام مفزعة، ويزداد استهجانك؛ لأن تنامي المعارضة داخل إسرائيل للتجويع واستمرار الحرب على غزة، ليس عائداً لمبدأ أخلاقي، وإنما رغبة في تحرير أسراهم من موت محقق، ومراعاة للمزاج الدولي، خصوصـــاً في الولايات المتحدة، بعد أن فقدت إسرائيل تأييد الغالبية الديمقراطية، وأخذت تخسر من رصيدها بين الجمهوريين، كما أن جهاز الدعاية الصهيونية الذي كان محلقاً في فاعليته لعشرات السنوات، يجد نفسه أمام صدود واتهامات يصعب ردها، حتى وسط شعوب كانت من أكبر المؤيدين لإسرائيل.

أين المفـــرّ؟ الصور المرعبة تنتشر بكثافة، ولم يعد مصطلح «إبادة» و«جريمة حرب» و«مجاعة» مما يتردد المسؤولون الأمميون في استخدامه لوصف حال بؤساء غزة. المفوض السامي لحقوق الإنسان فولكر ترك اتهم إسرائيل بفرض «قيود شاملة، وتدمير البنى التحتية المدنية، مما أوصل إلى استخدام التجويع، وهو ما يُعد جريمة حرب». كبير المستشارين في «أمنستي» محمد دوار يطالب بتقديم المســـؤولين عن الإبادة الجماعية والتجويع المتعمدين، إلى العدالة. فإذا كان الإسرائيليون يبتغون فائدة من مواجهة العالم أجمع، وتكذيب تقارير الهيئات الدولية، والبث المباشر، فلماذا تصمت الدول الكبرى، وتستمر في تغذية الإبادة، ومدّ الجيش الإسرائيلي بالسلاح، وتقتصر مواقفها على التنديد والتهديد بوقف التعاون الاقتصادي أو بعض العقوبات، إن لم يحدث تغيير؟ وإسرائيل لن تستجيب ما دام أن التواطؤ هو السمة الكبرى.

صمت اليوم لا يعني النجاة غداً. حجم كارثة غزة، وطول أمدها، وفداحة تعداد ضحاياها، تشي بأنها لن تكون مجرد مأساة تخص أهلها. ثمة حروب مفصلية يتغير بسببها العالم، بعد أن تهز الوجدان. ولا يستبعد محللون أن ما ســـتنجلي عنه مشاهد غزة بعد وقف المعارك من آلام مجذومين، وكثرة مشوهين، ودموع يتامى، وفجيعة أمهات ومشردين، سيجعل ردود الفعل ارتجاجية. وهو ما يتحسب له بنيامين نتنياهو. هناك من يتوقع أن تتجاوز الارتدادات ما حدث بعد تكشّف شناعة المحرقة اليهودية ومعسكرات الاعتقال، حيث دخل العالم في صدمة أخلاقية، آثارها ممتدة إلى اليوم في منطقتنا كلها.

أسئلة كثيرة مشروعة، بعد أن أصبح القتل بالتجويع، الذي هو أقسى من الحرق بالقنابل، مقبولاً ومستساغاً، هل ستفلت إسرائيل من العقاب؟ وإن حصل هذا ألن يؤدي إلى تكرار النموذج الوحشي في أماكن أخرى، من دون أن يعبأ أحد؟ هل تكون نهاية الهيئات الدولية، وبداية علاقات تقوم على سطوة الأقوى، وسيطرة من يقتل أكثر؟ ألا تؤسس سابقة غزة لعالم بملامح غير التي نعرفها؟ هل سيجرؤ أحد في حروب مقبلة على ذكر حقوق الإنسان، أو حماية المدنيين، وحرمة الجرحى والمستشفيات والأطفال والمسنين؟ هل سيبقى من حرمة أصلاً؟

لسنا أمام مجرد جريمة، بل أمام طعن لكل المبادئ التي أسست لتنظيم الهمجية البشرية، بعد مذابح الحرب الثانية. غزة تعيدنا إلى زمن الحصار الروماني، وحصار ستالينغراد ولينينغراد، لا بل أسوأ. فالمدينة الأولى يضرب بها المثل، مع أن حصارها فكّ بعد 71 يوماً والثانية بعد 872 يوماً. أما غزة فحصارها مستمر منذ 17 عاماً قبل أن يفرض عليها الاختناق التام في السنتين الأخيرتين. تبدو غزة بلا شبيه يمكن مقارنتها به، فهي حالة متفـــردة في التفنن في التعذيب، مما يستدعي نتائج يصعب قياسها أو توقعها.

تتسابق النظريات السوسيولوجية والنفسية على تصور البشرية في اليوم التالي لغزة. تنقسم الآراء بين من يحذر من بشرية متبلدة المشاعر، مخدرة تحت وطأة الصور القاتلة، لن تبالي باستباحة أي شيء، ذلك تبعاً لنظرية «التعب الأخلاقي». فيما نظرية «العدالة العاطفية» تقول العكس، وتبشرنا بإعادة تشكيل الضمير العالمي الذي ستمســـه اليقظة، تحت تأثير قصص الغزيين وفيديوهاتهم.

تتناقض النظريات، لكنها تتفق على أن هول غزة سيكون له ما بعده، حتماً.

عن «الشرق الأوسط»